أكل اللحوم المستوردة من المحرمات

الأطعمة المقدمة

بعد اجتياز مدخل الحمامات واجهتنا بوابة زنزانة صغيرة، وكان المنظر منذ الوهلة الاولى مقرفا، لعدم نظافته حيث لم تطله الايدي منذ فترة ما أدى الى تراكم النفايات في زوايا متفرقة منه! وبوابة كل زنزانه تعتليها، كما ذكرت سابقا، فتحة صغيرة لايتجاوز طولها الستون سنتمترا، وبينما كنا نتجول في تلك الممرات نادى علينا احد المتهمين وصرخ قائلا: اريد ان اتكلم معكم، اريد أن أتكلم معكم!! وهنا طلبنا من الادارة السماح لنا بالتكلم مع المتهمين الموجودين في الداخل. استقبلنا حدث كان عمره لايتجاوز الرابعة عشر عاما، طويل القامة، ملامح وجهه تدل على أنه صبي متعجرف، عصبي المزاج، قال اريد ان اتكلم معكم انا وزملائي ولكن من دون وجود الادارة. الحقيقة أن الادارة وافقت على الطلب، وجلسنا الى جانبه، على سريره المتواضع. واستدرك (م) بالقول احيانا يقدمون لنا طعاما لا نريد اكله ونضطر الى رميه في سلة المهملات، ويجعلوننا نأكل الصمون وحده. وعن نوعية الطعام عموما، صمت الصبي لحظات ثم أجاب: يقدمون لنا اللحم المستورد والصوصج. استغربت من كلامه وقلت ماذا في ذلك ليعاب هذا الطعام؟ قال اللحوم حرام لانها مستوردة، والصوصج اليس هو شبيه بالعضو الذكري؟ وهنا علق زميله في نفس الزنزانة، ولا يتجاوز عمره ١٥ عاما، اللحم المستورد واضح لانه لايستوى، وشكله يثير الاشمئزاز، وعندما نريد اكله لا يقطع لانه لم يستو جيدا. وقاطع كلامه حدث آخر(م) وقال: الطعام لايكفينا، بالنسبة لوجبة الفطور يقدمون لنا (قطعتين من الجبن + صمونه واحدة +كوب من الشاي)، والعشاء قليل جدا. وهنا كان لابد من التأكد من كلام الحدث الذي كان مصرا على صحة كلامه، والادارة تقول هذا غير صحيح، وحاولنا اعادة السؤال على بقية السجناء الذين كانوا مستائين من قول زميلهم هذا الكلام واكدوا العكس بان وجبات الطعام كافية وجيدة.

مشاهدة التلفاز تعتبر خطيئة كبرى

التلفزيون كان هناك أيضا عند تجوالنا في الدار وجدنا في كل زنزانة جهاز تلفاز وستلايت، ولكن هل يتم اختيار البرامج من قبل السجناء ام تفرض عليهم؟ سألنا المدير هناك بعض القنوات هي الطاغية على شاشات العرض التلفازي هنا؟ هل مشاهدة قناة دون الاخرى هي اجبارية ام يختارها السجناء بعد الاتفاق بينهم؟ ولماذا يمسك احد السجناء بيده جهاز التحكم (الريمونت) فأجاب نافع قائلا: قبل عدة اشهر فقط استطعنا السيطرة والحفاظ على اجهزة التلفاز، فقد كانت هناك مشكلة كبيرة لدى بعض السجناء مع التلفاز. فمنهم من قام بتحطيمه لانه يعتبر مشاهدة التلفاز من الخطايا، اما لماذا يشاهد بعض السجناء قناة معينة فنحن لا دخل لنا في ذلك. لهم حرية الاختيار، ومنعا للمشاكل نضع مراقبا على جهاز التحكم (الريمونت) اولا حفاظا على الجهاز من التلف، وثانيا حتى يكون الاتفاق بينهم من البداية من دون مشاكل وخلافات لاختيار قناة قد يجدها بعضهم مرفوضة لديه. وأكد الجميع ان ادارة السجن لاتتدخل في ما يشاهدون من برامج او قنوات. وأكد لنا احد الحراس الامنيين المراقبين ليلا، مشاهدة التلفاز ليس المشكلة الوحيدة التي استطاع بعض الاحداث تجاوزها تدريجيا فهناك البعض يعتبر الاغتسال بالماء الحار خطيئة يحاسب عليها الدين الاسلامي ،وعندما كانوا يستحمون في فصل الشتاء ،كنا نقف في باب الحمام نسمع صوت الماء يجري على الارض بعد قيامهم بفتح حنفية الماء الساخن ، حتى ينتهي وبعملهم هذا يحرمون الباقين من الاستحمام بالماء الحار. اضافة الى الارق المستمر نتيجة سهرنا طوال الليل، لاننا لابد من مراقبة تصرفاتهم، فنحن لاننكر وجود بعض التصرفات الشاذة بين بعض الاحداث. وبسهرنا على مراقبتهم طوال الليل نمنع حدوث اي تجاوز او اعتداء من قبل بعض الصبيان على البعض الاخر! وقبل المغادرة جاء المقاول المسؤول عن تجهيز الطعام، وكان عبارة عن وجبة غذاء متكونة من (نوع جيد من المرق + تمن + صمونه +كوب من الشاي)، و فتحنا القدور الكبيرة بانفسنا وتذوقنا من الطعام وكان جيدا جدا ، اضافة الى ان الطعام يقدم في اواني بلاستيكية + ملاعق طعام بلاستك ايضا، وهي تصف على طاولة طويلة، وبعض السجناء الاحداث يشاركون في توزيع الطعام وكل صحن يحوي قطعة صغيرة من اللحم. وكانت نوعية الطعام تناقض ما قيل من بعض الاحداث انه ليس جيدا واللحوم اجنبية، وشاهدنا بعض الصبيان يرفض تناول وجبة الطعام لانه غير مقتنع وطلب صمونة وكوب شاي فقط !

الماء الساخن يعتبر من المكروهات

زيارة ثانية

هناك بعض الأمور لابد من ذكرها، منها ان زيارتنا الأولى الى دار الاحداث كانت مفاجئة من دون علم الادارة، مع اننا حصلنا على تصريح من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بزيارة المكان (الملاحظة)، الواقع في منطقة حي السلام. ولكن بعد مرور ثلاثة اسابيع من صدور الموافقة، وقيامنا بالزيارة المفاجئة وهي جاءت لاسباب تتعلق بالاطلاع على الواقع هناك كما هو. ولكن الحقيقة تقال وبصراحة ان الدار قد انقلبت بها الاوضاع والامور بدرجة مئة وثمانين درجة بسبب مجيء ادارة جديدة، برغم وجود نواقص كبيرة عرجنا على بعضها سابقا. ولمصادفة موعد الزيارة الاولى الى الدار في يوم السبت، وهو عطلة لجميع الموظفين باستثناء الادارة و المراقبين والحراس الامنيين، كان لابد من الرجوع الى الدار في يوم آخر للالتقاء بالموظفين المختصين. و بعد مرور عدة ايام قمنا بالزيارة الثانية الى الدار والتقينا بمعاون المدير(.....)، لان المدير نعيم نايف كان غير موجود. وتحدثنا مع الباحث الاجتماعي فكرت انور الذي أوضح لنا المزيد من ظروف الدار: استطعنا من مزاولة عملنا بالشكل الصحيح قبل عدة اشهر فقط، خصوصا بعد استتباب الوضع الامني. سابقا كان من الصعب القدوم الى الدار لاسباب عديدة، منها أن العمل في هذا المجال خطر ، ولايخفى على الجميع التهديدات التي كانت تصل تقريبا الى الجميع، ومن جهات غير معلومة. في الوقت الحالي استطعنا الاسراع في حسم الكثير من القضايا المتاخرة والتي مضى على بعضها سنة او سنتين. دور الباحث الاجتماعي في الدار يتلخص في عدة خطوات مهمة، كدراسة الحالة من كل الجوانب، والدوافع والاسباب التي كانت وراء الفعل الاجرامي، ومن ثم يرفق تقرير الباحث الاجتماعي مع الاوراق التحقيقية المرفوعة للقضاء . وصادف خلال حديثنا مع الباحث انور، وجود حدث متهم بعملية قتل جاره، وكان يتحدث مع الباحثة الاجتماعية، (....غ). المتهم (..س.....) يبلغ من العمر ١٧ عاما، وهو طالب في المرحلة الاعدادية. يقول انا هنا منذ مايقارب التسعة اشهر ، بتهمة باطلة. والسبب واضح اثناء قتل المجني عليه كنت معتقلا سابقا من قبل القوات المتعددة الجنسية في منطقة الفلوجة، وعملية القتل حدثت في هذا الوقت، اذن كيف قتلته وأنا في السجن؟ وهنا قاطعته الباحثة الاجتماعية: ولكن وجود عدد من الشهود اكدوا انك هددت المجني عليه بالقتل ، صمت المتهم واشار بيده وهز رأسه وكأنه اراد ان يقول لا اعلم .....!

وجود واعظ ديني لكل طائفة

وعن آليات العمل داخل الدار أوضح الباحث فكرت أن هناك عدة محاضرات ومناهج ثقافية تلقى على الاحداث. تتعلق بعدة امور مختلفة منها سلوك الحدث، العلاقات الانسانية، التصرفات العامة، الاثار السلبية لارتكاب الجرائم. وبعد اكتمال رفع التقرير من قبل الباحث الاجتماعي يحال الحدث الى الطبيب النفسي الموجود في الدار، لدراسة الحالة النفسية للحدث وللاطلاع على اسباب ودوافع القيام بالجريمة. ونظرا لعدم توفر اماكن يشغلها الموظفون في الدار فقد شارك الاستاذ عبد الحسين جبار، مدير مركز محو الامية، الباحثين الاجتماعيين غرفتهم، ولضيق المكان يضطر الاحداث الجلوس على الارض. ويقول عبد الحسين: التعليم هنا اختياري، وهناك عدد قليل منهم لايعرف القراءة والكتابة. والبعض الاخر لا يعرف كيف ينطق الحروف اصلا . وهؤلاء الصبيان يفضلون التعلم والالتحاق بدروس محو الامية الاسبوعية. كما أن اللجنة الفنية في دائرة اصلاح الاحداث يكون من واجبها متابعة الحدث لحين عرض القضية، كذلك ترتيب اللقاء مع المحامي المختص بالقضية ، وتنظيم الزيارات الاسبوعية للحدث من قبل عائلته.

واعظون

زيارتنا الثانية هذه لاحظنا خلالها وجود واعظ ديني في الدار، وعندما سألنا الباحث فكرت عنه قال: يوجد واعظ ديني من ديوان الوقف الشيعي، وواعظ ديني من ديوان الوقف السني، وهما يلقيان المحاضرات على الاحداث. ولكن التركيز في المحاضرة يكون بشكل عام ولايسمح بالتركيز على الامور التي تثير النزعة الطائفية للاحداث. وبدورنا سألنا معاون المدير اذا كنا لانريد زرع الطائفية بين الاحداث فهل تعتقدون بهذه الطريقة نقضي عليها؟ اليس من الأفضل لو يتم توحيد الوعظ بشكل علمي اجتماعي من دون اقحام الأمور الطائفية في الموضوع؟ وكان جوابه هو أن هذه الامور لانحددها نحن، بل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية .

غرفة الطبابة

بعد ذلك انتقلنا الى غرفة الطبابة وتحدثنا مع طبيب الاسنان الدكتور محمد حيث قال: الامكانية هنا جيدة لمعالجة الاسنان، وقلعها في حالة الاحتياج الى ذلك. وغالبية الاحداث هم في مرحلة مراهقة، وبحاجة الى عناية طبية لاسنانهم. ونظرا لوضعهم فغالبيتهم يفضل قلع السن على تحمل الالم. كما لاحظنا وجود عدد من المعاونين الطبيين في نفس الغرفة، ووجدناها مناسبة للاستفسار عن دورهم هنا، فتحدث لنا المعاون الطبي سلمان قائلا : الامور الطبية والعلاجية هنا بسيطة، بسبب عدم تعرض الاحداث الى حوادث تؤدي الى احتياجهم الى عناية طبية كبيرة، اضافة الى توفر سيارة اسعاف لنقل الحالات الطارئة في اي وقت كان. ويجب الذكر هنا أن صيدلية الدار بسيطة جدا، ولا تحوى غير (الباراسيتول ، والبونستان) ومضادات الالتهابات (الكفلكس) وبعض الحقن الطبية.

وداع ملعب الكرة

شارفت الساعة الثانية عشرة ظهرا، وقبل ان نودع العاملين في دار الملاحظة للاحداث، سمعنا اصواتا شبابية، تصفق وتصفر. وعندما سألنا عما يجري، اصطحبنا المعاون الاداري الى ملعب كرة القدم في الدار. وكانت مساحته صغيرة، ويضم على جانبيه مدرجات مقسمة الى خمسة طوابق. وكان حكم الوسط يمثله احد المراقبين الامنيين وكذلك الحكام الجانبيون. وشاءت المصادفة ان يكون هداف المباراة الحدث نفسه الذي تكلمنا معه في اول اللقاء. وعندما شاهدنا جاء الينا مهرولا وقال: هل رأيتموني كيف العب؟ انا سوف اخرج واعود الى مزاولة الرياضة في منتخب الاشبال، ومهما يقال فانا لم اقترف جرما وانا واثق من كلامي هذا!